



الانتظام العابر للسياقات في القرآن الكريم- سورة الإسراء والكهف أنموذجاً- مقارنة تحليلية

أ.د. فايز مد الله الذنبيات*

الملخص

تقوم هذه الدراسة على فرضية (الانتظام) التي تفيد أن كل آية من آية القرآن ترتبط مع التي تليها برابط ما، وأن كل سورة من سورة القرآن تمهد للتي بعدها وتتفق مع عدد ليس قليلاً من موضوعاتها وأن بينهما تقاطعاً كبيراً. وهذا التقاطع أطلقت عليه الدراسة مصطلح (التوافق) وجرى تقسيمه إلى أنواع هي: توافق الطلب والإخبار، وتوافق الأمر والنهي مع القصص، والتوافق اللغوي. كما عنت الدراسة بشكل آخر من الانتظام أطلقت عليه الدراسة مصطلح (التناظر القصصي) وهو وجه من الانتظام جرى بين سيرتين من سير أنبياء الله هما: يوسف وموسى، وقد جرى إظهار نقاط التوافق ونقاط المفارقة بينهما.

كلمات مفتاحية: الانتظام القرآني- التوافق- التناظر القصصي.

* قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العلوم الإسلامية العالمية. Fayiz.Althunibat@wise.edu.jo

1-المقدمة:

تنطلق هذه الدراسة من تصوراتٍ ثابتة منها: أن ما بين دفتي المصحف الكريم يكتنز ضروبًا من الانتظام المعجز يصعب حصرها، ومنها الانتظام بين عدد من السور، لا في السورة الواحدة فحسب، وهو ما اجتهدنا في تسميته تحت مصطلح (الانتظام العابر للسياقات). ومن التصورات التي تنطلق منها الدراسة أن آيات السورة الواحدة تلتئم كلها حول محور عام وتنجذب إليه بطرق الاستدعاء أو التقاطع الدلالي. وأن لكل سورة بنيةً من المعاني قائمةً على قضية ما. وأن هذا كله ليس موجودًا في ظاهر النص ومكتشفًا لجميع المتلقين، وليس من صفات عظمة هذا القرآن أن يكون سطحيًا في كلياته، وإنما هو يكتنز أضعاف ما يظهر منه. لذلك طالبنا ربنا بالتدبر وأعلى من شأنه؛ وهذا يدل على أن بعض مسالك هذا النص التي توصل إلى أعماقه وأسراره غير متوفرة بسهولة من القراءة الأولى.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أن تعمل على توسعة أحد أبواب بلاغة القرآن، فهي تطوير لعلم المناسبات وفق رؤية جديدة تعمل على إيجاد التقاطعات الدلالية بين موضوعات السورة. ومن هنا تهدف هذه الدراسة إلى إمطة اللثام عن حقائق الانتظام بين السور عبر اختيار نموذجين هما: سورة الإسراء وسورة الكهف. أما عن منهج الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يستند إلى استقراء التقاطعات بين السور. وعن أسئلة الدراسة فإن أبرز الأسئلة التي ستجيب الدراسة عنها هي: ما أوجه التلاقي بين سورتي الإسراء والكهف خارج حدود ما ذكرته كتب المناسبات؟ ما أنواع التوافق بين هاتين السورتين؟ هل يمكن أن يتم الانتظام بين قصتين توزعتا على عشرات السور؟

وعن مراجع الدراسة ومصادرها فإن المصدر الرئيس هو القرآن الكريم. وبسبب حداثة الدراسة فإن المراجع كانت في أضيق حد لها على خلاف المعهود؛ ذلك لأن الدراسة تشق طريقًا مختلفًا في منهجه. أما مخطط الدراسة وهيكلها فقد انقسم إلى تمهيد وفصلين، كان الفصل الأول يتناول أوجه الانتظام عبر البحث عن التوافقات بين السورة المحددة. أما الفصل الثاني فهو توسيع لمفهوم الانتظام عبر البحث عن التناظر القصصي بين قصتي يوسف وموسى عليهما السلام.

2-تمهيد:

حول ماهية الانتظام:

إن مفهوم الانتظام هو مشروع نظرية جديدة في تحليل الخطاب القرآني تسعى إلى استكناه جوهر معاني القرآني ومحاولة إيجاد الروابط بينها بطرق شتى، كما تسعى إلى تفسير سبب استدعاء المعاني والقصص القرآني، وتفسير سبب الاختصار على هذا المعنى أو ذاك، أو تفسير سبب الاختيار، أو تفسير سبب التكرار. ويعمل الباحث على إصدار كتاب في هذا بحول الله.

ويُعدّ منهج (الانتظام الكلي) تطويراً لمفهوم (الانسجام) وهو مفهوم قديم حديث يُعنى بالدرجة الأولى في ترابط أجزاء النص، فالانسجام له جذور وإرهاصات في الإرث العربي. إذ تواترت أقوال العلماء في أن خير ما يفسر القرآن هو القرآن نفسه، وهذه اللحمة النصية هي مؤشر على الانسجام العميق بين السياقات القرآنية إذ تحيل على بعضها في المعنى والتأويل. كما جاء هذا المنهج لتطوير (علم المناسبات) الذي يمكن أن يكون فرعاً من مفهوم (الانسجام)؛ فعلاقة المناسبة بالانسجام أنها وسيلة من وسائله ويقصد بها البحث عن روابط التلاؤم والتوافق الدلالي بين أجزاء النص سعياً لإظهار وحدته البنائية. غير أن جهود العلماء السابقين في مباحث (المناسبة) و(الانسجام) تحتاج إلى مزيد من التطوير والتعمق، وفي هذا يقول أحد الباحثين: "ولكنّ المُفسّرِينَ بالرّغمِ من اقتناعِهِمْ بأنّ القرآنَ يُفسّرُ بعضُهُ بعضاً لم يُؤدِّ انشغالُهُم بالتفسيرِ إلى الكشفِ عن الوحدةِ البنائيةِ للقرآن الكريم".

¹ وهم- بلا ريب- معذرون في ذلك؛ ذلك أن الأرضية العلمية في هذه الحقول لم تسعفهم رغم اجتهادهم وحرصهم.

أما تعريف الباحث للانتظام الكلي للخطاب، فالانتظام الكلي للنص القرآني: هو منهج خاص بتحليل الخطاب القرآني حصراً ينطلق من فكرة وحدة النص القرآني كلاً ووحدة السورة القرآنية بشكل مستقل، ويسعى لتحليل روابط التقاء الموضوعات داخل السورة من جهة، وتفسير سبب الاختصار عليها من جهة ثانية، وتفسير سبب تشكّل لغة النص على شكلها الذي جاءت عليه، وتفسير سبب الأشكال البلاغية في النص وشكلها الذي جاءت فيه، وتفسير تداعي المعاني، وبيان

مسارات المعنى. والبحث عن الانتظام العابر للسياقات، وكل هذا وغيره الكثير عبر مفاهيم متعددة أوجدتها الدراسة لأول مرة، أو استعارت بعض مبادئها من مناهج سابقة.

والانتظام في عمومها ليس منهجاً فقط بل هو خاصية ذاتية في الخطاب القرآني، تتمثل في أنه يبدو في ظاهره متباعداً في موضوعاته ولكنه محكوم بشبكة من الترابط الرأسي والأفقي، لا يمكن بحال من الأحوال أن تتوفر في نص غيره. وكان من أهداف هذه النظرية: الكشف عن الجانب التطبيقي لهذا الشعر القديم الذي رفعه غير جيل من المتقدمين والمتأخرين من العلماء. إن هذا المنهج يستطيع تفسير حالات النص الجزئية (المفردات والجمل والصور والترتيب والأساليب) ولا يكتفي بهذا بل يفترض أن التأويل والترجيح بين التأويلات المتعددة ينطلق في أصله من بؤرة انتظام النص. ويعتمد هذا المنهج على جملة من الأدوات الجديدة أطلقها الباحث وعلى جملة من الأدوات مستوحاة من البلاغة القديمة والجديدة. ولن نستطيع- نظراً لضيق مساحة هذه الدراسة- إلا أن نقف عند أداة واحدة من بين عشرات الأدوات البلاغية في هذا المنهج، وهذه الأداة هي: الانتظام العابر للسياقات، وهذا الجزء من الانتظام هو علامة على وحدة النص القرآني كلاً متكاملًا، إذ نحاول تطوير مبدأ (المناسبات بين السور) على هيئة تقاطع في الموضوعات فيما بين السور القرآنية. لكن هذا النوع يحتاج إلى قرائن هادية تدلك على البحث عن انتظام السور فيما بينها، ومن هذه القرائن: تشابه الموضوعات جزئياً بين السور، تشابه مستهل السور (المطلع)، أو تشابه بين بعض الفواصل بين السور، أو تجاور بين سورتين أو أكثر على نحو سور المفصل أو السور التي تبتدئ ب(حم) وغير ذلك. وسنحاول في هذا المبحث على عجل أن نضع فرضية لتقاطع موضوعات بعض السور، ونجعل من ذلك جزءاً من نظرية الانتظام الكلي.

أما من حيث تعريف الانتظام العابر للسياقات فيمكن لنا تقديم هذا التعريف: يُقصد بالانتظام العابر للسياقات: تعزيز فرضية وحدة السياقات القرآنية كلها ضمن نطاق واحد والبحث عن أشكال التوافق القصدي والتماثل فيما بين سورتين أو أكثر من خلال إجراء تقاطعات في الموضوعات أو الأشكال اللغوية فيما بينهما، وهذا النوع من الانتظام ليس من غاياته: التأويل، بل الغاية القصوى منه إظهار وحدة السياق القرآني، وإظهار فعالية الانتظام

الذي يتخللها. وذلك التنظيم الإعجازي للموضوعات في وحدات السور القرآنية أو القصص القرآنية.

ولا شك أن هذا النوع من الانتظام- في جزء منه- هو تطوير لمباحث (المناسبة بين السور) الذي عرفته مدونة علوم القرآن، وكان عدد من العلماء أمثال البقاعي والسيوطي قد وضعوا كتباً مستقلة في هذا، وكانت جهودهم فريدة، لكنها تحتاج إلى مزيد تطوير بغية استكناه شيء من عظمة القرآن الكريم. والانتظام العابر للسياقات هو في جزء منه جديد كلياً؛ أننا حاولنا إجراء مغامرات في تطوير هذا المبحث من الدراسة وأثبتنا أنه يمكن أن يعطينا نتائج غير متوقعة عن حقائق الانتظام في النص المعجز. ومن هنا ستجدون مبحثين جديدين كلياً في هذا الباب هما:

- 1- أشكال الانتظام العابر للسياقات، وفيها أشكال جديدة لم تُطرق من قبل، مثل: توافق الطلب والجواب، و توافق الأوامر والنواهي مع القصص، والتوافق اللغوي. فهو مقارنة بشكل أعمق فيما بين بنيات الموضوعات، ونمط الخطاب، وما نسعى إلى ترسيخه هو محاولة البحث عن الانتظام الموضوعي بين عدد من السور، كل سورة منها مستقلة في محورها الدلالي وفي بنيتها الحجاجية، وفي تداعي موضوعاتها، وفي تنوع نمطها الخطابي: بين سردي قصصي، إلى تشريعي وعقائدي، ورغم هذا التباين إلا أن إيماناً بوحدة النص القرآني كلاً قادنا إلى التجزؤ والبحث عن روابط بين بنى هذه السور مجتمعة. من أجل التأكد من فعالية المنهج وفعالية نتائجه المتوخاة.
- 2- التناظر القصصي في سياقات متعددة.

وفيه يتم إجراء تقاطع بين قصتين مختلفتين في سياقات مختلفة، لإظهار وحدة النص كله.

الفصل الأول:

الانتظام العابر للسياقات على مستوى السور- الإسراء، الكهف :

يشير هذا النوع من الانتظام إلى وجود تقاطعات بين آيات سورتين مختلفتين، وقد يكون هذا التقاطع على هيئة خطابات متباينة؛ كأن يكون أحد الخطابين قصصياً والآخر خطاب أمر ونهي. وهو علامة دالة على وحدة السياق القرآني كله. وما نحاول أن نلفت إليه الأنظار فهو مقارنة بشكل أعمق فيما بين بنيات الموضوعات، ونمط الخطاب بين سورتين هما: الإسراء والكهف، وهما سورتان متجاورتان، ولكل سورة منهما محور دلالي مستقل كلياً عن الأخرى.

وينبغي التنبيه إلى أن الافتراضات المسبقة للدراسة تذهب إلى أن كل سورة من سور القرآن ينبغي أن يكون بينها وبين أي سورة أخرى انتظام ما، وهذا الانتظام قد يكون ظاهراً للعيان، وقد لا يكون كذلك. وقد يكون الانتظام على مستوى البنية العامة لخطاب السورتين، أو يكون على مستوى التجزيء لوحدة الموضوعات، أي تتشابه الأجزاء التفصيلية لمكونات الخطاب بين سورتين أو أكثر. مثلما نجد مثلاً في سور ما يُعرف بـ (الطواسين) فإنك لو قابلت بين موضوعاتها ستجد تشابهاً كبيراً، وقد ربط لنا هذا التشابه بمستهل هذه السور، من خلال الحروف المقطعة (طس). وقد تجد أن التوافق واقع بين سورتين متباعدتين في مكانيهما ومتغايرتين كلياً في خطابيهما، ولكن تجد ثمة قرائن في لغة السورتين تقودك إلى البحث عن الانتظام بينهما. كما نجد- على سبيل المثال- ما هو بين سورة الكهف وسورة الجن، إذ نلمس توافقاً بينهما على مستوى: الفاصلة القرآنية، وتشابهاً في بعض الأبنية اللغوية. ووجود مثل هذا التوافق يعطيك مفتاحاً نصياً للذهاب بعيداً في تأويل كلا الخطابين على مبدأ التقاطع الخطابي مع بعضهما بعضاً بسبب وجود علاقات بينهما.

أولاً: التوافقات بين الإسراء والكهف:

ذكر السيوطي عن ترتيب سورة الكهف ما نصه: "قال بعضهم: مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء: افتتاح تلك بالتسبيح وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد، نحو (فسيح بحمد ربك) و (سبحان الله وبحمده) قلت: مع اختتام ما قبلها بالتحميد أيضاً، وذلك من وجوه المناسبة"². يقول صاحب البرهان: "وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح وسورة الكهف بالتحميد لأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد يقال سبحان الله والحمد لله"³. "ونفس المعنى في بدء السورة وختامها؛ في البدء تأكيد على أن الكتاب لا عوج له- أي محفوظ- فلا سبيل إلى تحريفه أو حرفه عن مساره، والختام تأكيد على أن كلمات الله لن تنفذ، وخلال السورة تأكيد على أنه لا مبدل لكلمات الله"⁴. ومن التوافقات العددية بين السورتين ما يوضحه هذا الجدول:

جدول رقم (1): التوافقات العددية بين سورة الاسراء وسورة الكهف

السورة	رقم السورة	عدد آياتها	عدد كلماتها	عدد حروفها
الإسراء	17	111	1556	6480

الكهف	18	110	1579	6425
-------	----	-----	------	------

وهذا التقارب العددي الكبير بين السورتين (الإسراء والكهف) هو مؤشر على أن بين السورتين انتظام ما على مستويات مختلفة. ومن التوافقات بين المطالع والمقاطع بين السورتين: ما جاء في استهلال سورة الإسراء من الابتداء بذكر الرسول ﷺ باسم (عبده)، حيث خُتمت السورة بالتحميد ونفي أن يكون لله ابن. وهذا ما جاء في استهلال سورة الكهف إذ بدأت بالتحميد، وذكر إنزال الكتاب على (عبده) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف:1) ثم تختتم سورة الكهف بما بدأت به سورة الإسراء قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (الكهف:110) وما بدأت به سورة الكهف نفسها، وذلك بترسيخ فكرة بشرية الرسول ﷺ، وكونه عبداً من عباده، ويُسمى هذا في علم البلاغة (تشابه الأطراف)⁵. وثمة آيات كثيرة في سورة الإسراء والكهف تدور حول هذه الفكرة. ولا يفوتنا أن نتنبه إلى أن الخطاب العام للسورتين فيه تركيز على أهل الكتاب؛ فقصة فتية الكهف وهم من أتباع رسالة عيسى، وسورة الإسراء قد سبق فيها الحديث طويلاً عن بني إسرائيل.. ومن المعلوم أن سورة الإسراء والكهف تشتركان في الجزء الخامس عشر الذي يتوسط القرآن؛ كما تشتركان في أنهما مكيتان وتشتركان في التجاور وتقتربان جداً من حيث عدد آياتهما. وثمة انتظام على هيئة توافقات وقعت بين سورتي الإسراء والكهف في أشكال عديدة يمكن تقسيمها إلى ثلاث أنواع:

1. توافق الطلب والجواب:

وهو نوع من التقاطع بين المعاني في سورتين، إذ يكون أحد الموضعين على هيئة سرد مطالب مذكورة، في حين يكون الموضع الثاني على هيئة قصة تمثل جواباً وعبرة وتلمح إلى المطالب.

ولبسط هذا الضرب من التوافقات نرى سورة الكهف تلمح إلى صورة أو خطاب سبق ذكره في سورة الإسراء مع تباين في السياق بينهما، ولكن الانتظام يقتضي الربط بينهما، على نحو ما جاء في الإسراء من ذكر شروط كفار مكة ليصدقوا برسالة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجَرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً﴾ (الإسراء:91-92).⁶ فعناصر هذه الأشياء المذكورة هي: أن يتفجر من الأرض نهر، ويتخلل

جنة من النخل والأعناب. ولو بحثنا في سورة الكهف عن هذه العناصر سنجد أنها نفسها، غير أنها جاءت في سياق قصصي، إذ كان في أمر بيان نعمة الله التي أنعم على أحد عباده غير الشكورين، وهي من نعم الدنيا غير الدائمة. قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا* كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ (الكهف: 32-33). وكأن ما جاء من أي الكهف يرد على مطالب قريش المادية في سورة الإسراء، وكأنها تقول: إن ما طلبتموه شيء فإني، على نحو ما وقع للجنيتين. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَلْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20)﴾ (الإسراء: 18-20) فالنعم هذه ليست معياراً لصدق الرسالة، فإله ينعم بها على من لا يشكره. غير أن الفضل الحقيقي الدائم يكون في الآخرة، لأن ما طلبتم هو شيء دنيوي لا يفتأ ينقشع سراعاً، فالكفار ليسوا في موقف من يضع الشروط، والله ورسوله ليسا في موقف من يخضع للشروط، بل قدرة نافذة على كل شيء، وهذا فحوى القصة التي تمثل جواباً على المطالب المتقدمة. يقول البقاعي: "ولما كان إنما محط حال المشركين العاجل، وكان قد تقدم قولهم {أو يكون لك جنة من نخيل وعنب} [الإسراء: 91] الآية، وقوله تعالى: {إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها} [الكهف: 7] الآية، وقوله تعالى: في حق فقراء المؤمنين الذين تقذروهم {ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا} [الكهف: 28] الآية واستمر إلى أن ختم بأن جنات المؤمنين عظيم حسنهما من جهة الارتفاق، عطف على قوله تعالى {وقل الحق من ربكم} [الكهف: 29] قوله تعالى كاشفاً بضرب المثل أن ما فيه الكفار من الارتفاق العاجل ليس أهلاً لأن يفتخر به لأنه إلى زوال⁷. ولحقيقة الربط بين الموضوعين نجد دالة لغوية وهي: أن خطاب سورة الإسراء منقول على لسان قريش: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ﴾ وأن خطاب سورة الكهف موجه لأسماع قريش تحديداً عبر قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ فشبه الجملة (لهم) مخصصة لذلك. وهذا النوع من التوافق ليس عبثياً وليس صدفة؛ ذلك أن بين السورتين اتحاد وترايط؛ فأسئلة يهود: عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ، عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ، وعن الروح⁸، كانت إجابات سؤال الروح في سورة الإسراء وكانت الإجابتان الأخريان في سورة الكهف، ولم يكن هذا إلا دليل ترابط السورتين، وأنهما تتمازجان في بؤرة دلالية منتظمة.

ويدخل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 52) فالإنسان حين يفقد وعيه يعجز عن تقدير الزمن سواء أ كان ميتاً أم نائماً، وهذا يوافق بشكل من الأشكال ما جاء في سورة الكهف وقصة الفتية حين قاموا من رقادهم واختلط عليهم تقدير الزمن، قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ (الكهف:19). "فالقرآن يحدثنا في قصة أهل الكهف عن فئة مؤمنة غرقت في نومها أكثر من ثلاثة قرون، ثم يخبرنا أن تلك الفئة بعد قيامها من نومها ظنت أنها لم يمض عليها في تلك الحالة إلا وقت قصير، ولم تستطع تقدير الزمن الذي نامته... ويعتبر الموقف المشار إليه في الآية التالية دليلاً على أن الزمن في الحقيقة ما هو إلا إدراك نفسي"⁹.

ويدخل في ذلك أيضاً ما جاء في باب امتنان الله على عباده عبر تكريمه لهم وحملهم في البحر والبر، قال تعالى: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (66) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ ﴿(الإسراء:66-67) وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ﴾ (الإسراء:70) وهذا بدوره يوافق ما جاء في قصة موسى والعبد الصالح أيضاً حين ركبا في السفينة وكادت تغرق بعد خرقها، قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (الكهف:71). وكأن الامتنان الرباني كان تلميحاً لما سيأتي في قصة موسى في سورة الكهف.

ويدخل في ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُسًا﴾ (الإسراء:83) إن هذه الحقيقة عن طبيعة الإنسان كأنها تختصر قصة صاحب الجنتين الواردة في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا... وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (الكهف:32-43)

2-توافقات الأوامر والنواهي مع القصص:

وهو وجه من التوافق بدا للباحث يقترب من سابقة غير أنه يختلف في صيغه اللغوية؛ ذلك أنه يستند إلى سلسلة من الأوامر والنواهي الربانية تقع في سياق سورة، ثم تليها سورة أخرى تتضمن قصصاً ومواقف على هيئة تمثيل عملي للنواهي والأوامر.

ففي سورة الإسراء نجد عدداً من الحكم الأخلاقية جاءت عبر أسلوب الأمر وأسلوب النهي وفي هيئة متتالية، مثل أمره- عز وجل- بتأدية حق ذي القربى وحق ابن السبيل، ومثل نهيه- عز وجل- عن أكل أموال الأيتام، ونهيه- عز وجل- عن قتل نفس الإنسان التي حرّمها، ونهيه- عز وجل- عن قتلنا أولادنا، إلى غير ذلك. وهنا سنضطر إلى اقتطاع الآيات قال تعالى: ﴿وَأَبْذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ *** وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ *** وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ *** وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ *** وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: 26-31-33-34). ونحن إذ نتلو آيات الأمر والنهي هذه الواردة في سورة الإسراء يُخَيِّلُ إلينا أننا نستعرض أحداث رحلة نبي الله موسى ﷺ مع العبد الصالح الواردة في سورة الكهف؛ حين كانا أول الأمر مثل أبناء السبيل وقت وصلوا إلى القرية، فلم يجدوا في أهلها من يؤدي حق ابن السبيل حتى أنهما اضطرا إلى استطعامهم وطلب الطعام منهم فلم يجدوا من يلبي ذلك. ثم إننا نجد في النهي عن قتل الأولاد وقتل النفس التي حرم الله المذكورة في الإسراء ما يشبه الذي حدث مع العبد الصالح المذكور في سورة الكهف حين أقدم على قتل الغلام، مع الاختلاف في كون الحادثة أمراً خاصاً وليس جريمة اعتداء، ذلك لأن العبد الصالح لم يقدم على الفعل من وحي ذاته، بل كان من أمر الله ومن وحيه. أما ما يخص النهي عن قتل الأنفس فقد شرع به نبي الله موسى ﷺ وقت غضب وقال: ﴿أَقْتُلْتُ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً تُكْرَأُ﴾ (الكهف: 74). أما ما يخص حفظ أموال الأيتام فقد بدا من بناء العبد الصالح للجدار الذي كان يريد أن ينقض حرصاً منه على حفظ على أموال اليتيمين من أن يصل إليها أهل تلك القرية، حتى يبلغ اليتيمان أشدهما. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ وأما ما يخص وفاء الإنسان بعهده ففي الأحداث التي وقعت مع موسى ﷺ في تلك القصة ما يفصل ذلك؛ فقد تعاهدا- عليهما السلام- على الصحبة، وعلى أن يتبع موسى ﷺ صاحبه دون أن يسأله عن شيء. ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف: 70) ولكن نبي الله موسى ﷺ ما استطاع أن يفي بهذا العهد وذلك لهول ما فعله صاحبه، وكان صاحبه قبل العهد قد عرف أن موسى لن يستطيع الصبر على ما سيرى فقال له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا *

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (الكهف:67-68) فالتمس له الأعداء سلفاً. ومن التوافقات أن آيات الأمر والنهي في سورة الإسراء جاءت متتابعة في سياقها، وقد جاءت الآيات التي توافقها من سورة الكهف متتابعة في سياقها. وكأن التنظير كان في سورة الإسراء في حين جاء التمثيل والتفصيل في قصص سورة الكهف. ولعل هذا التوافق كان من باب الانتظام العابر للسياقات، الذي يعمق من التحام السورتين.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء:23) وهذا الإحسان إلى الوالدين يوافق ما جاء في قصة موسى أيضاً وحادثة قتل الغلام على يد العبد الصالح، إذ كان سبب قتله رحمته أبويه من عقوبته بعد أن يكبر، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا أَلْعُلْمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف:80-81). فكان الأمر بالإحسان إلى الوالدين جاءت القصة لتطبقه عملياً. مع العلم أنه في شريعة موسى كانت عقوبة العاق بوالديه القتل¹⁰.

3-توافقات لغوية:

وهو وجه من وجوه الانتظام العابر للسياقات يكون في التوافقات على مستوى الأبنية اللغوية والمعاني التي تنتجها، وهو دالة لغوية على وجود توافق بين سياقي السورتين. جاء مثل هذا الضرب من التوافقات بين سورة الإسراء والكهف بشكل كثير، فالألفاظ-أحيانا- تلتقي بشكل شبه تام، كما تتوافق المعاني والدلالات في أحيان كثيرة عبر صيغ لغوية تتقارب. وسنكتفي بذكر بعض من هذه التوافقات التي وقعت بين آيات السورتين. فقد قال تعالى في الإسراء: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (الإسراء:41) كما قال في الإسراء أيضاً: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (الإسراء:89). وقال تعالى في الكهف: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف:54). وهذا التوافق الجزئي حري أن يكون دالة لغوية على الانتظام العابر للسياقات، فتصريف الله في قرآنه للمثل تكرر في السورتين، فكان بين السورتين تبادل أدوار في طرح المثل على نحو نظري وتطبيقي على غرار ما تقدم. كما قال عز وجل في الإسراء: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ (الإسراء:97). وعلى النمط نفسه عاد القول في سورة الكهف فقال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ

تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» (الكهف:17). وكأننا يُخِيل إلينا أن قوله «فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» إنه يعنى العبد الصالح في قصته مع موسى فقد كان ولياً مرشداً وكان موسى مهتدياً، وستكتفي الدراسة بهذين المثالين على أنه قد وقع من التوافقات اللغوية الصريحة بين السورتين الكثير. وفي الجدول الآتي نضع بعض الآيات التي توافقت لغوياً بين السورتين:

جدول رقم(2): التوافقات اللغوية بين سورة الاسراء وسورة الكهف

الإسراء	الكهف	نوع التوافق
2. وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدْمَرْنَهَا تَدْمِيرًا (16) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58)	وَتِلْكَ الْأَفْرَى أَهْلَكْتَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59)	لغوي
3. أَفَأَصْحَابُكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (40) وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ (64)	أَمْالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)	لغوي
4. وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (45) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَكَرْتُمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّمْ وَلَوْ أَدْبَرْتُمْ لَنُفُورًا (46)	وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا (100) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101)	لغوي
5. وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62)	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50)	لغوي
6. يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْهَمِهِمْ فَمَنْ أَوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ -	وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ	لغوي

	فَأُولَٰئِكَ يَفْرَهُونَ كَيْتَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (71)	مُسْتَفْقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلَتُنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)
7.	وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ آلِذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتُنفَتِرَ عَلَيْنَا غَرَبُوهَا إِذَا لَاتَخَذُوكَ خَلِيلًا (73) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74)	وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ - وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ - مُلتَحِدًا (27) وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)
8.	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (41)	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54)
9.	قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (94)	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ (110)
10.	وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا (111)	وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4)
11.	أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2)	هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ - ءَالِهَةً (15)
12.	لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ (4)	إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ (94)
13.	وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5) إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا مَفْعُولًا (108)	فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98)
14.	وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8)	إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (لغوي)

	(102)		
15.	وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (11) وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (67) وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (100)	وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54)	لغوي
16.	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا {94}	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا {55}	لغوي
17.	وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا {9}	وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّيَّرِينَ يَحْمِلُونَ	لغوي ¹¹
18.	ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَزُفَاتًا أَلَيْسَ لَنَا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (98).	ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا (106).	لغوي

أما ما يخص دلالة هذا الانتظام بين السورتين ولماذا شاء الله أن يقعا في وسط القرآن من حيث الترتيب؟ مع أن بينهما فارقاً من حيث ترتيب النزول. وما تفسير هذه العلاقة بين السورتين؟ فإن ذلك يعود إلى محور رئيسي هام هو إنهاء خدمات الرسالات السماوية السابقة جميعاً والنصرانية على وجه الخصوص؛ لأنها أقرب الرسالات زمنياً لرسالة محمد ﷺ مع لفت الانتباه إلى المعجزة الهائلة وهي القرآن الذي صبت عليه سورة الإسراء اهتماماً زائداً، في إحالة ضمنية إلى إلغاء العمل بالكتب السابقة بعد أن نسخها القرآن، ولو تتبعنا الآيات التي تتحدث عن معجزة القرآن في سورة الإسراء لوجدناها تزيد على العشرين.

ثانياً- تو افق السورتين مع سورة مريم:

لم تكن سورة مريم ضمن نطاق الدراسة غير الانتظام السورتين اللتين سبقتاها يجعلنا نقف عند نقاط محددة منها توسيعاً لنطاق الانتظام العابر للسياقات وإظهاراً لكونه يشبه كرة الثلج المتدحرجة إذ كلما تم الانتقال إلى سورة جديدة نستطيع التماس أثر انتظامها مع ما يلها، وفي

هذا الصدد بعد أن وقفنا على جانب بسيط من انتظام سورتي الإسراء والكهف في عناصر محددة سنقف هنا مع توافقات بين السورتين الكريمتين مع سورة مريم التالية لهما. يقول الغرناطي: "ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين موسى والخضر (عليهما السلام) ، وقصة ذي القرنين، أتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب ما هو أشد عجباً وأخفى سبباً فافتتح سورة مريم بيحيى بن زكريا وبشارة، زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج حتى سأل زكريا مستفهماً

ومتعجباً (أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي آمَرْتُ عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) (8)¹². ويقول البقاعي: "لما كان العلم واقعاً بأن جميع سورة الكهف شارحة لمسألتين من مسائل قريش، وبعض سورة سبحان شارح للثالثة، ولطول الفصل صدرت قصة ذي القرنين بقوله {ويسألونك} إعلاماً بعطفها على مسألة الروح المصدرة بمثل ذلك، وجاءت سورة مريم كاشفة - تبكيثاً لأهل الكتاب الكاتمين للحق - عن أغرب من تلك القصص وأقدم زماناً وأعظم شأناً من أخبار الأنبياء المذكورين ومن أسرع التبديل بعدهم بإضاعة الصلاة واتباع الشهوات، فثبت بذلك أن هذا كله مرتب لإجابة سؤالهم وأنه كلام الله قطعاً"¹³

يقول السيوطي عن مناسبة سورة مريم لسورة الكهف: "ظهر لي في وجه مناسبتها لما قبلها: أن سورة الكهف اشتملت على عدة أعاجيب: قصة أصحاب الكهف، وطول لبثهم هذه المدة الطويلة بلا أكل ولا شرب، وقصة موسى مع الخضر، وما فيها من الخارقات، وقصة ذي القرنين وهذه السورة فيها أعجوبتان قصة ولادة يحيى بن زكريا، وقصة ولادة عيسى، فناسبتهما"¹⁴. ويبدو للباحث فيما يخص مناسبة سورة الكهف لسورة مريم ما يلي: أن قصص سورة الكهف الأربع جميع شخصياتها من الذكور، وأكثرهم من فئة الفتية، ولا يوجد ذكر لشخصية المرأة البتة! حتى أن الغلام المقتول (كان أبواه مؤمنين) إذ جاء التغليب في الصيغة للأب على خلاف المعهود حين يأتي للوالدة. وليس ذلك -وفقاً لتقديرنا - إلا تمهيداً للسورة التي تحمل اسم امرأة وهي سورة مريم.¹⁵

ومن أهم التوافقات التي تدل على انتظام سورة الكهف مع سورة مريم ازدياد الحديث عن الذراري والأولاد والتوارث؛ الأمر الذي يكاد يجعل السورة تستكمل ما مهدت سورة الكهف. فسورة الكهف أعطت مهاداً بشأن الأولاد؛ فأكثر شخصيات قصصها من الفتية ، وكأن سورة

مريم جاءت لتكمل الصورة، إذ تضمنت قصصها أنواع معجزة من الذراري على نحو يحيى عليه السلام وإسحق عليه السلام. فكلتا النبيين الكريمين جاءا على الرغم من كون الوالدين عقيمين، وعلى الرغم من بلوغهما من الكبر عتيا، والحال نفسه فيما يخص الأبوين، ثم تضمنت السورة نوعا أكثر إعجازاً فيما يخص الولادة وهي ولادة عيسى عليه السلام. ومما يجمع بين سورة مريم والكهف والإسراء دمج المال مع الذرية على نحو قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: 46)، ونحو قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ (الإسراء: 6)، أما سورة مريم ففيها تلميحات لهذه الثنائية، كقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا﴾ (مريم: 77).

وثمة انتظام عابر للسياقات بين السورتين؛ ففي حين نجد أن سورة الكهف أظهرت لنا أنواعاً من رحمة الله بعباده، كطلب فتية الكهف الرحمة من ربهم، حيث نشر لهم ربهم في الكهف من رحمته. وحين بُني الجدار على كنز الغلامين قال الخضر: إن هذا (رحمة من ربك)، وحين بنى ذو القرنين الردم قال (هذا رحمة من ربي)، وهناك سلسلة من رحمت الله بالعباد مبثوثة في سورة الكهف. أما سورة مريم فتكمل دورة الرحمت في إظهار رحمة العباد الصالحين بعضهم بعضاً، كرحمة الابن والديه، ورحمة الزوج زوجته. بل إنها تكاد تكون سورة الرحمة؛ لكثرة ما ورد هذا الجذر اللغوي فيها، حتى أن اسم الله (الرحمن) تكرر في هذه السورة أكثر من أي سورة أخرى، فبلغ عدده: ستة عشر تكراراً. إذا علمنا أن اسم (الرحمن) قد ورد في سورة البقرة مرةً واحدةً فقط، وفي سورة الإسراء مرةً واحدةً، ولم يرد أبداً في سورة الكهف. وكثيرة هي أشكال الرحمت التي بين عباد الله الصالحين، والتي تؤدي الدور التكميلي لأشكال الرحمت الربانية التي تتابعت نماذجها في سورة الكهف. ومن أبرز التوافقات بين السورتين (الإسراء والكهف) وبين سورة مريم، ما يلي:

توافق التماثل: وأول ما يطالعنا من عناصر التماثل ما وقع بين قصة فتية الكهف وبين قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام. فالفتية اعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله، خوفاً من عقاب الرجم أو خوفاً من إعادتهم إلى ملة الشرك، قال تعالى: ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ *** وَإِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ *** إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف: 15-16-20). وعند إعادة النظر في الآيات نلاحظ

أن عناصر هذه الصورة موجودة في قصة إبراهيم مع أبيه، حيث هددته أبوه بالرجم أو الانتهاء عن الملة الجديدة، وكان قرار إبراهيم -كقرار الفتية- وهو: اعتزال الذين يدعون من دون الله- مع ملاحظة أن إبراهيم كان فتى وقتها - قال تعالى: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ (الأنبياء:60). أما آيات سورة مريم التي اقتربت عناصرها من عناصر قصة فتية الكهف فهي قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا *** وَأَعْرَضْكَ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (مريم:46-48). إن مناسبة ما جرى مع الفتية بالإضافة إلى حادثة سنهم وثباتهم على الحق، استدعى الحديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام من باب ما نسميه (الاستدعاء السياقي) وجدير بالملاحظة أن نذكر أن قصة سيدنا إبراهيم سابقة -تاريخيا- لقصة أصحاب الكهف بأزمان بعيدة لكن عامل الانتظام والمواءمة بين السياقات اقتضى أن يفصل بينهما في سياقين مختلفين، وأن يكون السياقان متعلقين بعضهما بعضاً من جهات أخرى لكيلا تفقد القصتان عناصر الانتظام. فقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام يستدعيها -أيضاً- سياق سورة مريم من جهة أخرى وهي الوراثة والنبوة كونه أبا للأنبياء -عليهم السلام- الواردين جميعاً في السورة¹⁶. ومن هنا ندرك اتساع رقعة الانتظام ودقته فيما بين السور كوحداث منفصلة، وفيما بين آيات السورة الواحدة، وفيما بين سور الجزء وآياته مجتمعة ومنفصلة.

وثمة ملاحظة مهمة في شأن ترتيب الأنبياء الواردين في سورة مريم؛ فالمرّة الوحيدة التي يُذكر فيها إسحاق عليه السلام قبل إسماعيل عليه السلام في هذه السورة. فقد تكرر ذكر إسماعيل عليه السلام في القرآن اثنتي عشرة مرّة وتكرر ذكر إسحاق عليه السلام ستة عشر مرّة. ولم يسبق أن تقدم إسحاق عليه السلام على إسماعيل عليه السلام سوى في سورة مريم. (" أما لماذا خُصَّ أسحق عليه السلام دون إسماعيل عليه السلام؟ فهو لأن إسماعيل عليه السلام لم تكن ولادته خارقة للعادة فهي حالة طبيعية، كما أنه عاش في مكة وليس في بيت المقدس مهد المسيح عليه السلام ويحيى عليه السلام. ثم أن المذكورين بالولادة الخارقة (يحيى وعيسى) وهم من ولد إسحق عليه السلام. ومن باب الانتظام مع وحدات السياق -التي تتحدث عن الولادة الخارقة من عجوزين عقيمين وأخرى عذراء، وعن ولادة الأنبياء في بيت المقدس- وجب التذكير. فإذا كانت الولادة الخارقة دلالة مركزية (محوراً دلالياً عاماً) في النص فإن التكرار- هنا- حاجة سياقية تخدم تلاحم وحدات المعنى الفرعية في الانتظام. ثم عرضت سورة مريم لذكر إسماعيل عليه السلام بعد

عدد من الآيات على سبيل الثناء عليه كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 54)¹⁷.

ومن التوافقات في عناصر السورة قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا* أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا* كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدَدًا* وَنَرِيَّهٗ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (مريم: 77-80). وهذا الآيات تماثل قصة صاحب الجنين في سورة الكهف من عدة جهات؛ الأولى: العُجب والتهيه بالمال والولد، إنكار يوم القيامة، أو قياسه- إذا كان موجوداً- على حال الدنيا قياساً خاطئاً.

ومن التوافقات التفسيرية التي وردت في سورة مريم بيان خطورة ادعاء الولد لله، حيث خُتمت سورة الإسراء بالتحميد ونفي فكرة اتخاذ الله ولداً، وبدأت سورة الكهف منذرةً من يتفوه بهذه الكلمة الكبيرة في قوله تعالى: ﴿وَنُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا* مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (الكهف: 4-5). أما في سورة مريم فبعد تفصيل أمر ولادة عيسى جاءت الآيات لتفسر معنى (كبرت كلمة) فهي كلمة تُقاس بنهاية الكون لبشاعتها، بل هي نذر كنذر القيامة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا* وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا* إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: 88-93).

وهذا غيض من فيض حاولنا فيه أن نلم ببعض خيوط الانتظام العابر للسياقات بين سورة الكهف وعلاقتها بسورة الإسراء ومريم. منتخبين بعض النماذج والأمثلة فقط لأن المقام لا يتسع لأكثر منها. مع التذكير أن السور الثلاث تضمنت من وشائج التقارب والانتظام شيئاً كثيراً يستحيل أحياناً الإحاطة به من كل جوانبه. وقد بينت هذه الدراسة آثار انتظام القصص الأربع في سورة الكهف مع آيات من سورتي الإسراء ومريم. فقصّة أصحاب الكهف تتوافق في بعض جوانبها مع قصة إبراهيم، وقصة يأجوج ومأجوج تنتظم مع الآيات التي تتحدث عن نبوة بني إسرائيل، وقصة موسى والعبد الصالح تنتظم مع بعض الخطاب من سورة الإسراء، وقصة صاحب الجنين تنتظم مع السورتين. فلو تتبعنا أشكال التماثل والانتظام لكانت على نطاق أوسع من هذا النطاق بكثير. يقول د. محمود توفيق: "وإذا ما كان مشتبه النظم قد لقي عناية بالغة من أهل العلم قديماً وحديثاً، فقد غلب على كثير منهم ملاحظته واستبصاره في سياقه الجزئي الذي هو

خطوة إلى أمد أبعد ، وقليل من أولئك من مد استبصاره وتدبره مشتبه النظم في ضوء السياق الكلي للسورة ملاحظاً سلطان المقصود الأعظم ، وما ذلك إلا لخفاء ذلك السلطان على مشتبه النظم في المعاني الجزئية التي يغلب أن يكون نظمها نظماً تركيباً بخلاف سلطان المقصود الأعظم على سياق المعاني الكلية ومشتبه النظم الترتيبي فيها ، فإنه أجلى منه في التركيب ، وبهذا يتبين لك أن مشتبه النظم في المعاني الجزئية غيره مشتبه النظم في المعاني الكلية التي هي معاهد السورة ونجومها الكبرى¹⁸

الفصل الثاني: الانتظام العابر للسياقات- على مستوى التناظر القصصي:

يشير هذا الفرع من الدراسة -وهو جديد كلياً- على مستوى التنظير والتطبيق- إلى وجوب إجراء تقاطعات على مستوى أحداث وتفصيل قصتين أو أكثر من قصص الأنبياء في القرآن للبحث عن جوانب الانتظام في الالتقاء القرآني للقصص. وهنا دأبت الدراسة على استعمال مصطلح (التناظر القصصي) وفيه يتجلى الانتظام فوق ترابعية الحدث. ففيما تقدم لمسنا جانباً من انتظام الخطابات مع القصص المذكورة في سورة الكهف، على هيئة شكل جديد من أشكال التوافق بين السور والآيات. وفي هذا الفصل تسعى الدراسة إلى ترسيخ هذا المبدأ من خلال إجراء مقارنة بين قصتين جمعتهم سياقات عديدة، ليكون الانتظام عابراً للسياقات ويكون بين عناصر الأحداث، والشخصيات وتبادل الأمكنة والأدوار.

ومثاله قصة يوسف وموسى -عليهما السلام-. فعلى الرغم من اختلاف سيرة النبيين العظيمين -عليهما السلام- والفاصل الزمني الذي يفصل بينهما وهو -كما تقول المصادر التاريخية- يزيد على 400 سنة¹⁹، واختلاف وجهة الصراع الذي خاضاه. فصراع يوسف أسري بالدرجة الأولى، أما صراع موسى فصراع عرقي ديني. إلا أن قصتي النبيين العظيمين فيهما من الانتظام والتقاطع والتناظر الشيء العجيب.

ولأن الانتظام العابر للسياقات ليس له حد يتوقف عنده في القرآن الكريم فإن المقاربة الآتية ليست بين سورتين كسابقتهما بل بين قصتين، الأولى: وردت في سورة مستقلة هي سورة يوسف، أما الثانية فقد وردت في زهاء ثلاثين سورة موزعة على سياقات متنوعة، وهي قصة موسى عليه السلام. والانتظام في هذا الفرع من الدراسة يتخذ شكلين بارزين: الأول: التوافق والالتقاء ، أما الثاني فهو: التقاطع والتضاد القائم على المفارقة.

أولاً: نقاط التوافق والالتقاء:

كلا النبيين مذ كانا طفلين كانا مهددين بالقتل. فيوسف عليه السلام اقترح أخوته أن يقتلوه: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف:9) ثم انتهى به المطاف إلى أن أُلقي في بئر الماء ثم الانتقال إلى قصر العزيز في مصر. وكذلك الحال بالنسبة لموسى فقد كان -كباقي من يولد من ذكور بني إسرائيل محكوما عليه بالإعدام. ثم انتهى به المطاف أن أُلقي في اليم انتقالا إلى قصر الفرعون في مصر. ومن نقاط الالتقاء أن كلا النبيين -على وجه الحصر- عاشا في مصر من بين الأنبياء المذكورين في القرآن. وأن كلا النبيين عاشا في قصور السادة؛ فيوسف عاش في قصر العزيز، وموسى في قصر فرعون. ويوسف حين انتهى به المطاف طفلاً في قصر العزيز استبشر به العزيز خيراً وقال لزوجته: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (يوسف:21) أما موسى فقد استبشرت به زوجة فرعون وقالت: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَّ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص:9). يُضاف إلى ذلك أن يوسف عُرف بعلاقته الحميمة مع شقيقه: بنيامين. كما عُرف موسى بعلاقته الحميمة مع أخيه هارون. فهذان النبيان العظيمان المختصان بمصر والشام في حركاتهما قد عاشا الاغتراب الجزئي عن أهلهما في قصور السادة في مصر. يُضاف إلى هذا أن كلا النبيين تم تبنيهما في القصور على هيئة أبناء. كما أن كلا النبيين تم تهديدهما بالسجن بعد أن كبرا، فقد قال فرعون لموسى: ﴿قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء:29). وقالت زوجة العزيز من قبله ليوسف: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (32) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (يوسف:32-33). وهما النبيان الوحيدان اللذان ذكرا مع السجن.

ثانياً: نقاط التقاطع والتضاد

ونقاط التقاطع والتضاد أكثر، وسنوجزها على النحو الآتي: كسب سيدنا يوسف تعاطف (الرجل) بدايةً من أبيه يعقوب عليه السلام ثم العزيز، وقد ونال من شر زوجة العزيز (المرأة). بينما كسب موسى تعاطف (المرأة) بدايةً من أمه، ثم من امرأة فرعون، وقد نال من شر فرعون (الرجل). والحال نفسه يتكرر بالتناظر نفسه حينما نجد أن أم يوسف غابت شخصيتها كلياً في

أحداث قصته، بل لعلها كانت متوفأة، كما تقول بعض المصادر²⁰، وقد حظي يوسف بمحبة أبيه بشكل كبير؛ حتى ابيضت عيناه من الحزن على فراقه. في حين نجد على النقيض فيما يخص قصة موسى؛ فشخصية أبيه غائبة كلياً عن أحداث قصته. وقد حظي بمحبة زائدة من أمه بلغت من حبها له أن قلبها (بات فارغاً) لولا أن ربط الله عليه؛ بسبب فراق موسى. فيوسف تعلق به الرجلان: أبوه الحقيقي (يعقوب) وأبوه المري (العزیز) وكان دور المرأة الوحيدة سلبياً. في حين نجد المفارقة التصويرية: في أن موسى تعلق به امرأتان؛ أمه الحقيقية، وأمّه المريية زوجة فرعون، وكان دور الرجل الوحيد (فرعون) سلبياً. فالعجب كل العجب من هذه المفارقات التصويرية التي ارتقى عليها الانتظام العابر للسياقات في القرآن.

كما ينضم لهذه الطائفة من المفارقات أن يوسف رعى الغنم صغيراً في بوادي الشام. وانتهى به الأمر مستقراً في قصر الملك وهو كبير. بينما نجد موسى نشأ صغيراً في قصر الملك بمصر وانتهى به الأمر كبيراً وهو يربى الغنم في بوادي الشام في مدين. كما نجد أن يوسف هو الذي أدخل أهله -وهم النواة الأولى لبني إسرائيل- أرض مصر ليستقروا فيها؛ من أجل تخليصهم من حالة البداوة والترحل في الصحراء ﴿وجاء بكم من البدو﴾، بينما نجد موسى هو الذي أخرج قومه من (المدنية) في مصر قاصداً بهم الشام فلم يدخلوا بيت المقدس أول مرة مع سيدنا موسى وعاشوا مرحلة الترحل البدوية والتنقل في الصحراء. فيوسف جاء بهم من بادية الشام إلى مصر، وموسى أخرجهم من مصر إلى بادية الشام. دخلوا مصر في عهد يوسف فقراء لا يجدون طعاماً وكانوا قلة لكنهم وجدوا الترحيب والأمان ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف:99). وقد خرجوا من مصر زمن موسى وهم فارون مطاردون وكان عددهم كبيراً لكنهم أثروا وحملوا أموالاً من زينة قوم فرعون، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ (طه:87)

ومن التقاطعات السياقية أن قصة يوسف وردت في سياق واحد من القرآن هو (سورة يوسف) ولم تتكرر في غيره. في حين نجد أن قصة موسى قد توزعت على سياقات عديدة وقد تكررت غير مرة في العديد السور، وهي أكثر قصة توزعت بين السور بما يزيد عن ثلاثين سورة. يقول الشعراوي: "كل قصة من القصص القرآني تجدها قد جاءت تخدم فكرة، ومجموعها يعطي كل القصة؛ لأن الحق حين يورد القصص فهو يأتي بلقطة في سورة لتخدم موقفاً،

ولقطة أخرى تخدم موقفاً آخر وهكذا. وحين شاء أن يرسل لنا قصة محبوبكة تماماً، جاء بقصة «يوسف» في سورة يوسف ولم يكررها في القرآن، لأنها مستوفية في سورة يوسف، اللهم إلا في آية واحدة²¹. ويقول أيضاً: "وقد أورد سبحانه قصة يوسف عليه السلام كاملة من الألف إلى الياء في صورة قصة محبوبكة على أتم ما يكون الفن القصصي، ومع ذلك لم يأت لسيدنا يوسف عليه السلام ذكر في غير هذه القصة إلا في موضعين... إذن: ورود القصة في لقطات مختلفة متفرقة ليس عجزاً عن إيرادها مُستوفاة كاملة في سياق واحد، ولو فعل ذلك لكان التثبيت مرة واحدة"²².

إن هذا الجانب من الانتظام العجيب يقيم علاقات اتفاق وتقابل بين قصتين مختلفتين في سياقات مختلفة على مستوى الحدث القصصي والمكان والشخصيات والبداية والنهاية ليشكل مفارقةً تحار فيها العقول. وسأكتفي بهذا النمط من الانتظام الذي سُمي (التناظر القصصي).

3-خاتمة:

-مصادر ومراجع:

- القرآن الكريم
- العهد القديم، سفر التكوين، وسفر التثنية.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 1422 هـ - 2002 م، ط1.
- ابن الزبير الغرناطي، الإمام أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. المغرب، 1410 هـ - 1990 م.
- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، أسرار ترتيب القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام - القاهرة، (دط) (دت).
- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي - الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1997 م.

- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر بيروت، (دط) 1995.
- طارق مصطفى محمد حميدة، التناسب في سورة البقرة، رسالة ماجستير، عمادة الدراسات العليا، جامعة القدس، 1428هـ/ 2007م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1420هـ/ 2000م.
- عبد الرحمن بو درع، في لسانيات النص وتحليل الخطاب، بحث مقدم في المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، جامعة الملك سعود، كرسي القرآن الكريم، 1434هـ- 2013م.
- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط17، 2005.
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب (542هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 1413هـ- 1993م.
- فايز الذنبيات، التفنن مخرجاً بلاغياً عند ابن عاشور في تفسيره، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة - عمادة البحث العلمي، مج11، ع2، 2015.
- فايز الذنبيات، جوانب من التشكيل القصصي في سورة الكهف- مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد9 ، عدد2، رجب 1433 هـ ، يونيو 2012 م.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
- القنوجي، أبو الطيب محمد صديق الحسيني البخاري (المتوفى: 1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، 1992 م.
- الكرمانى، أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة، (ت: 505هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيحة، (دت).
- محمود توفيق محمد سعد، العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، الناشر: جامعة الأزهر الشريف، 2003م 1424هـ.
- هارون يحيى، خديعة التطور الانهيار العلمي لنظرية التطور وخلفياتها الأيديولوجية، ترجمة: سليمان بايبارا، مراجعة: د. أحمد ممتاز سلطان اورخان محمد علي، إسطنبول - 2002.

الهوامش:

- 1 - عبد الرحمن أبو درع، السياق وأثره في الدلالة. بحث ضمن مجلة (الإحياء) تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، العدد (25)، جمادى الثانية 1428هـ- يوليو 2007م، ص: 26
- 2 - السيوطي، جلال الدين، أسرار ترتيب القرآن، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، (دط): (دت): ص: 20
- 3 - الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391، ج1-ص: 39
- 4 - طارق مصطفى محمد حميدة، التناسب في سورة البقرة، رسالة ماجستير، عمادة الدراسات العليا / جامعة القدس، 1428هـ/ 2007م، ص: 23
- 5 - انظر على سبيل المثال: عبد المتعال الصعيدي، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط7، 2005. ص: 407
- 6 - يقول ابن عاشور: "العماد الذي أقيمت عليه أغراض هذه السورة إثبات نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- وإثبات أن القرآن وحى من الله، وإثبات فضله وفضله من أنزل عليه، وذكر أنه معجز، ورد مطاعن المشركين فيه وفيمن جاء به، وإبطال إحتالهم أن يكون النبي- صلى الله عليه وسلم- أسرى به إلى المسجد الأقصى " ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، 1420هـ/ 2000م، ط1: ج15-ص: 7
- 7 - البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج12-ص: 56
- 8 - جاء في تفسير القرطبي: "سَلَامُهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ وَصِفَا لَهُمْ صِفَتُهُ وَأَخْبَرَاهُمْ بِقَوْلِهِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ أَنْبِيَاءٍ، فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَسَأَلَا أَخْبَارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَصَفَا لَهُمْ أَمْرَهُ، وَأَخْبَرَاهُمْ بِبَعْضِ قَوْلِهِ، وَقَالَا لَهُمْ: إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوَرَةِ وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِنُخْبِرُوكُمْ عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا. فَقَالَتْ لَهُمَا أَخْبَارُ يَهُودَ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثِ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيُّ مُرْسَلٍ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالْزُّجْلُ مُتَقَوِّلٌ، فَرَوَا فِيهِ رَأْيَكُمْ، سَلُوهُ عَنْ فِتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ، مَا كَانَ أَمْرُهُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ. سَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، مَا كَانَ نَبُوهُ. وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، مَا هِيَ، فَإِذَا أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ فَاتَّبِعُوهُ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ فَاصْنَعُوا فِي أَمْرِهِ مَا بَدَأَ لَكُمْ". القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ- 1964م، ج10-ص: 347
- 9- هارون يحيى، خديعة التطور الانهيار العلمي لنظرية التطور وخلفياتها الأيديولوجية، ترجمة: سليمان بايبارا، مراجعة: د. أحمد ممتاز سلطان اورخان محمد علي، إسطنبول - 2002، ص: 264
- 10 - جاء في العهد القديم في سفر التثنية: " إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ويؤدباناه فلا يسمع لهما... فيرجمه جميع رجال مدينته بحجارة حتى يموت" (تثنية 21: 18)
- 11 - يقول الكرمانى: "قَوْلُهُ تَعَالَى (وَيُبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) وَخَصَّتْ سُورَةُ الْكَهْفِ بِقَوْلِهِ (أَجْرًا حَسَنًا) لِأَنَّ الْأَجْرَ فِي السُّورَتَيْنِ الْجَنَّةَ وَالْكَبِيرَ وَالْحَسَنَ مِنْ أَوْصَافِهَا لَكِنَّ خَصَّتْ هَذِهِ السُّورَةَ بِالْكَبِيرِ مُوَافَقَةً لِفَوَاصِلِ الْآيِ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا وَهِيَ {حَصِيرًا} أَيْمًا 10 عَجُولًا 11 وَجَلَّهَا وَقَعَ قَبْلَ آخِرِهَا مُدَّةً وَكَذَلِكَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ جَاءَ عَلَى "الكرمانى، أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة، (ت: 505هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، (دت)، ص: 163

- 12 - ابن الزبير الغرناطي، الإمام أبو جعفر أحمد بن إبراهيم (المتوفى 708 هـ)، البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق : محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .المغرب، 1410 هـ - 1990 م، ص:251
- 13 - البقاعي، نظم الدرر، ج12-ص:228
- 14 - السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، ص:21
- 15 - انظر بحثنا: د فايز الذنبيات، جوانب من التشكيل القصصي في سورة الكهف- مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد9 ، عدد2، رجب 1433 هـ ، يونيو 2012 م، ص: 287
- 16 - باستثناء إدريس، لأنه ليس من ذرية إبراهيم، وهو ربما أقدم زمنا منه، وقد ورد فيه أقوال منها أنه جد نوح انظر على سبيل المثال: ابن عطية المحرر الوجيز، ج2 -ص:374، وانظر أيضاً محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان ج3-ص:442
- 17 - د فايز الذنبيات، التفنن مخرجاً بلاغياً عند ابن عاشور، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة - عمادة البحث العلمي، مج11، ع2، 2015
- 18 - محمود توفيق محمد سعد، العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، الناشر: جامعة الأزهر الشريف، 2003م 1424هـ، ص: 117
- 19 - "قال ابن عباس: إنما سمي موسى لأنه القي بين ماء وشجر فالماء بالقبطية مو والشجر سا وعاش من العمر مائة وعشرين سنة وبينه وبين يوسف أربع مائة سنة وبين موسى" القنوجي، أبو الطيب محمد صديق الحسيني البخاري (المتوفى: 1307هـ)، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري،: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، 1992 م، ج4-ص:421
- 20 - جاء في سفر التكوين: "ثُمَّ رَحَلُوا مِنْ بَيْتِ إِيلَ. وَعِنْدَمَا كَانُوا عَلَى مَسَافَةٍ مِنْ أَفْرَاةَ، شَعَرَتْ رَاحِيلُ بِأَوْجَاعِ الْوِلَادَةِ وَكَانَتْ وَلَاذْنَهَا صَعْبَةً جِدًّا. ¹⁷ وَفِيمَا كَانَتْ تَتَعَدَّبُ لِتَلِدَ، قَالَتْ لَهَا الْمَرْأَةُ الَّتِي تُوَلِّدُهَا: «لَا تَخَافِي، هَذَا صَبِيٌّ آخَرٌ لَكَ». ¹⁸ وَفِي آخِرِ لَحَظَاتِ مِنْ حَيَاةِ رَاحِيلَ ¹⁹ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَمُوتُ)، سَمَّيْتُ الْوَلَدَ بَنَ أُونِي، ²⁰ أَمَّا أَبُوهُ فَسَمَّاهُ بَنِيَامِينَ. ²¹ وَمَاتَتْ رَاحِيلُ وَذُفِنَتْ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى أَفْرَاةَ، أَيْ بَيْتِ لَحْمَ. سفر التكوين 16-20. وجاء في تفسير الثعلبي: " وقال قتادة : الشمس أبوه والقمر خالته ، وذلك أن أمه راحيل كانت قد ماتت" الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، الكشف والبيان، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 1422 هـ - 2002 م، ط1، ج5-ص:198
- 21 - محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1997 م، ج7-ص:4170
- 22 - المرجع السابق: ج17-ص:10739

Cross-Contextual Coherence in the Holy Qur'an: Surah Al-Isra' and Surah Al-Kahf as a Model – An Analytical Approach

Abstract

This study is based on the hypothesis of (coherence/nizām), which posits that every verse of the Qur'an is connected to the one following it by some link, and that every surah of the Qur'an paves the way for the one after it and agrees with a considerable number of its themes, with significant overlap between them. This overlap is termed in this study as (correspondence/tawāfuq), which has been classified into types: correspondence of demand (request/command) and report (informing), correspondence of command and prohibition with narratives, and linguistic correspondence. The study also addresses another form of coherence, which it terms (narrative parallelism/tanāzur qīṣaṣī), a type of coherence that occurs between two biographical accounts of the prophets of God, namely Joseph (Yūsuf) and Moses (Mūsā). The study highlights points of correspondence and points of divergence between the two.

Keywords: Qur'anic Coherence. correspondence, Narrative Parallelism.